البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

﴿ وعظ رمضان والمسجد الحسيني ﴾

اقترحنا فى الجزء الذى صدر فى غرة رمضان على الاستاذين الكبيرين شيخ الازهر وشيخ الجامع الحسينى منع الوعاظ الجهلاء من التصدى لتعليم الناس فلم يلتفتا الى الاقتراح وكان المسجد كعادته كما أومأنا الى ذلك فى الجزء الماضى . ومن الناس من يظن ان الاستاذ السيد الشيخ على البلاوى ترضيه التعاليم الخرافية لان العوام اذا تنبهوا وعرفوا الحق يمتنعون عن تقديم النذور والهدايا لصندوق المقام الحسينى الذى هو امينه والشيوخ والخدم فيه الذين يتقاسمون ذلك معه ولكننا نقول اننا ذاكرناه فى عام مضى بوجوب تطهير هذا المكان الشريف المعظم من البدع والخرافات التى اقبحها تعظيم عمود الرخام تعظيماً دينياً فوعدنا بذلك واثنينا عليه لهذا الوعد فى منار السنة الماضية وراجعناه الكلام فى ذلك ولكنه اعتذر عن المبادرة الى العمل بقوله : اذا قيل لهؤلاء العوام ان تعظيم الاحجار والطواف بالقبور ونحو ذلك ليس من الدين يخشى ان يختل اعتقادهم بأصل الدين لان هذا عندهم من اهم مهماته فلا بد من التدريج . وقد قبلنا فى اول الامر هذا الاعتذار ثم اردنا ان نختبر ذلك بنفسنا ونتبينه بالتجربة فتصدى الفقير فى العام الماضى وفى هذا العام للوعظ والتعليم فى المسجد الحسينى وغيره فرأيت عامة المصريين اكثر الناس قبولاً للارشاد الصحيح واشدهم استعداداً

لقبول الحق . ولقد كان اقبال الناس على مجلسي عظيماً حتى كانوا ينصرفون عن سائر الوعاظ الى وما القيت اليهم مسئلة الا وتقبلوها بقبول حسن ولكن هذا الدرس ساء الذين يمس التعليم الصحيح شيئاً من رزقهم الذى يناله باذاعة الخرافات وبيع « النفرانات » فحملوا بعض ذويهم على ان يشيعوا بين الناس الذين لم يسمعوا درسي انى انكرت الاولياء وكراماتهم وانكرت الشفاعة وقلت ان سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه كالصنم « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً » وغير ذلك من الاشاعات التى أسمع فى كل يوم من الناس منها ما لم يخطر على بالى فى يوم من ايام حياتى . وكان حظهم من النجاح فى هذا الافساد ان الثناء العام على درسي وقول الناس « يا ليت لنا مثله كذا وكذا عدداً . . . » وامثال ذلك قد صار مشوباً بالانكار وأنه لا بد ان يتغلب القول القبيح وان كان باطلاً على الحسن وان كان حقاً . وفاتهم ان خرافاتهم كانت مقبولة عند البسطاء نائمة فى قلوب السذج فاستيقظت بحركتهم هذه وكل من يتكلم بالانكار لا بد ان يجد ممن عرف الحق من يرشده اليه ولو بعد حين وبذلك تتلاشى بدعهم وخرافاتهم ويفسد عليهم باب الأكل بالدين كالذين قال الله تعالى فيهم « اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون »

اما هذا الفقير فلا يبرئه من كلام الملحدين الا ان الحق مقبول . ولا يسيئه من تقول القادحين الا ان الحق عندهم مخذول . ولا يبالى فيما وراء ذلك بمدح ولا ذم لأنه لا يطلب على الأول من أربابه اجراً . ولا يخاف من الآخرين ضراً .

ولست ابالي من رماني بريبة اذا كنت عند الله غير مريب

ولو كنت أرجو من الناس شيئاً لاتبعت اهواءهم واشرفت عليهم من مواقع رغباتهم بتسهيل سبل الشهوات واللذات . وتلقين الفاظ لا تضر معها الفواحش والمنكرات . وترويج هذا البهتان باسم الدين . كما يفعل سائر الدجالين . ولو كنت اخافهم لما فاجأتهم في اكبر مجتمعاتهم واجمع مساجدهم بانكار ما شاع فيهم من المنكرات . وتزييف ما الصقوه بالدين من البدع والخرافات كالاعتقاد بان عمود الرخام في المسجد الحسيني يضر وينفع وانه يتبرك به وكذلك باب المتولي عند جامع المؤيد والشجرة التي امام جامع السلطان الحنفي وغير ذلك من الأضاليل . ان معلمي الفتنة سهلوا على الجهلاء تعظيم هذه الجمادات تعظيماً دينياً (وذلك عين العبادة) بأكاذيب نسبوها الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم زوراً وبهتاناً كقولهم : « لو اعتقد أحدكم على حجر لنفعه » وقد هالهم اني صرحت بأنه لم يقل احد من العلماء ان هذا حديث على ان معناه فاسد لأن ظاهره ان الاحجار تضر وتنفع بسلطة غيبية . واسرار وراء الاسباب الطبيعية وان هذا النفع يلتمس منها وهذه هي حجة عباد الأصنام . بل ان من هؤلاء من حكى الله تعالى عنهم بأنهم كانوا يجعلونها قربة ووسيلة تشفع لهم عند الله تعالى كالذين عبدوا الانبياء والملائكة بهذه الشبهة . قال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » الآية . وهذا التقرير هو الذي حولوه وزعموا اني قلت ان سيدنا الحسين صنم او كالصنم حاشا لله كذب المفترون وضلوا ضلالا بعيدا

بعد كتابة ما تقدم سمعت من بعض الناس ان مما اذاعه المرجفون

زعمهم اني قلت : « ان قبر سيدنا الحسين كقبر النصراني - وفي رواية - كقبر بطرس » فدلني هذا على ان قول بعض علماء الاخلاق والاجتماع في المصريين : « ان كذبهم محصور في التحريف والزيادة والنقص وليسوا بارعين في الاختلاق » قول لا يخلو من حسن الظن اوانهم ارتقوا في هذه الايام الى ما لم يعهده بهم من قبل . ولا اراه الا سيرجع عن ذلك القول فيهم كما رجع عن قول آخر لاختلاف حالهم عن الوقت الذي قاله فيه

ذلك انه كان قال : « ان مصر ستبقى للمصريين لانهم لا يفتؤن يتناسلون وان تحكم فيهم الاستبداد . واستحوذ عليهم الذل والاضطهاد . وبلادهم الزراعية لا تنتج الا بعملهم ولا مندوحة لمن يمتلكها عن استعمالهم فيها لانهم يرضون من الاجر القليل ما لا يرضاه غيرهم فالبلاد لا تستغني عنهم والذي يحكمهم من غير جنسهم اما ان يضطر الى تركهم وشأنهم واما يتجنس بجنسيتهم ويكون منهم » ثم بعد ان فشا السكر والزنا في كل بلدة من بلادهم وكل قرية من قراهم واقبل وجهاؤهم على التفرنج القبيح رجع عن قوله وقال : ان هذه السموم الكحولية التي يشربونها من غير عقل مع فشو الداء الزهري بانتشار الفاحشة لا بد ان تكون من اقوى عوامل تقليل النسل وضعف المواليد كما هو الشأن في فرنسا التي يراعى اهلها في هاتين الآفتين (السكر والزنا) قواعد الطب في الجملة ولا يعرف المصريون شيئاً من ذلك . ثم ان التفرنج علمهم الترف والتنعم حتى انك لترى في القرى الصغيرة والمزارع من الاسراف نحو ما تراه في المدن العظيمة ونتيجة هذا كله انهم اذا لم يتداركوا هذه الآفات قبل تعميمها فلا يبعد ان ينقرضوا كما انقرض هنود اميركا وان بقيت لهم بقية فانها تدغم في الامة

المتغلبة عليهم وتجنس بجنسيتهم . اه

هذا قول عالم حكيم ولكن هذه الامة منيت برؤساء من الطامعين الجاهلين الذين ينالون المال والجاه بجهل الامة ولذلك ينفرونها من كل مرشد ناصح يحملها على العمل النافع الصالح . وهي تسمع لهم لانهم يحملونها على ما تألف من الجهالات . وتحسين الخرافات

وانى اقول لمن لا يفهم البرهان . ويقدم قول الدجالين على السنة والقرآن . اذا اردت ان تعرف انني ناصح لك ومحق فى نهيك عن التمسح والتبرك بأعمدة الرخام وبالابواب والاقفاص وبالآبار والاشجار والتماس الخير من ذلك فانظر الى اكابر العلماء كشيخ الجامع الازهر ومفتى الديار المصرية والاستاذين الشيخ عبد الرحمن الشربينى والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد ابى خطوه واضرابهم او من هم دونهم فى العلم كشيخ الجامع الحسينى نفسه هل تجد واحداً منهم فعل ذلك ؟ أليس لك عقل يدلك على ان هذا لو كان من الدين او كان فيه نفع فى الدنيا او الآخرة لسبقوك اليه لأنه سهل لا كلفة فيه عليهم . فان زرت القبور فزرها كما يزورون يكن لك عذر لان العلم بالدين والعمل به مرتبتين العلم بالدليل والبرهان وتقليد العلماء الموثوق بهم لمن يعجز عن فهم دينه بالدليل . وكل ما انكرناه فانما يقلد فيه جهلاء العامة بعضهم بعضاً . فحسبنا الله ونعم الوكيل

مسجد عمرو

هذا المسجد اقدم مساجد القاهرة تأسس فى اثر الفتح وهو الآن فى طرف العاصمة الذي يسمونه مصر العتيقة ولا تقام فيه الصلاة الا آخر جمعة من رمضان لان امير مصر يصلى هناك . ولم نحضر هذه الصلاة الا

فى هذا العلم والعوام يرون ان الصلاة فيه يومئذ موسم من مواسم الملة كالعيدين لا سيما وهم يرون ان سمو الخديو المعظم يحضره بصفة رسمية فتطلق المدافع عند اشراف موكبه الحافل على الجامع وعند خروجه منه وتصدح الموسيقى الخديوية بانغامها الشجية . ولذلك يؤمونه من جميع انحاء العاصمة فيحضر بعضهم الصلاة ويبقى خلق كثير خارج المسجد من رجال ونساء ما بين اهلين واجانب . والذين كانوا داخل الجامع يناهزون المائة الف

ومن البدع فيه انهم يستحضرون الاشجار الصغيرة والرياحين فيضعونها امام المصلين لا سيما فى جانب المحراب والمنبر . ومنها ازدحامهم بعد الصلاة على عمود من الرخام بقرب المحراب يضربه بعضهم بالنعال والايدى ويتبرك به آخرون . اما سبب الضرب فهو زعمهم ان جميع الاعمدة التي هناك جاءت من الحجاز تسعى بنفسها وعمرو بن العاص يسوقها وان هذا العامود كان قد عصى وامتنع لولا انه ارغم على المجيء وكأن الخديو السابق خاف ان يسقط العمود لشدة ما يضرب فجعل عليه حاجز من الحديد بأمره وأما التبرك فلانهم يزعمون ان فيه اثر يد النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك . والصواب ان تلك الاعمدة هي من انقاض مدينة (منف) الشهيرة وقد رمم مراراً . ومنها ان فى الجانب الايسر محراباً صغيراً يقولون انه المحراب الاصلى يدخله الناس فيمسحون استاههم فيه لاجل التبرك وهذا اقبح ما رأينا من ضروب التبرك . ومنها انهم جعلوا فيه قبراً كسائر مساجد مصر يزدحم الرجال بالنساء للتبرك به . ومنها بدعة يقال ان مجاوري الازهر هم الذين سنوها وهي كتابة الناس اسماءهم على الاعمدة معتقدين ان صاحب المسجد يحصيها ويدخل اصحابها الجنة كما سمعناه مشافهة .